الفصل التاسع

قصة إسلام
عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل

٥٤

سبحان اللَّه في تدبيره وصنعه، كيف يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّت؟ وكيف يهدي مَنْ يشاء ويضلُّ من يشاء؟

(عِكْرِمةُ بنُ أبي جهل) شابٌّ نشأ في حجر أبيه، على الكفر والضلال، والعداءِ لرسول اللَّه ﷺ والإسلام، فقد عاش معظم حياته، حاملاً لواءَ الكفر، مقتدياً بأبيه في كراهية الإسلام، يناضلُ ويكافح ويجاهد لإطفاء نور اللَّه، وإعلاء كلمة الكفر والضلال!!

كان «عكرمةُ» فارساً من فرسان قريش، جَمَع مع الشجاعة (فنَّ القتال) كان إذا دخل الحرب، حصَدَ الرؤوسَ، وقَتَل الرجال، وكان يعتمد عليه المشركون في معظم حروبهم، حتى إنه فاقَ أباه (أبا جهل) في الشجاعة والفروسيَّة، وهو الذي فتَكَ بالمسلمين في (غزوة أُحُد) حين رأى الجبلَ خالياً من الرُّماةِ، فجاءهم من خلفهم مع (خالد بن الوليد) وأعملَ فيهم السِّلاحَ، قتلاً وسفكاً للدِّماء، وهم مشغولون بجمع الغنائم، حتى قُتِل في تلك الغزوة من المسلمين، ما يقرب من السبعين، وجاءت الهزيمةُ للمسلمين بسبب مخالفتهم أمرَ الرسول ﷺ، حين أوصاهم بقوله: (لا تبرحوا أماكنكم حتى ولو رأيتمونا تخطَّفتنا الطيرُ) فكان (عكرمة) مع (خالد) هما السببُ في هزيمة المسلمين، بعد ذلك النصر الساحق المبين، الذي كان للمسلمين في بدء المعركة الحربية.!

متى أسلم عكرمة رضي اللَّه عنه؟

ولكنْ إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيراً، يسَّر له طريقَ الهداية والإيمان، وشرحَ صدرَه لهذا الدين العظيم، فأقبلَ نحوه طائعاً خاضعاً، مستجيباً لدعوة اللَّه ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].!

ولمَّا كان يوم الفتح الأعظم (فتح مكة) كان عكرمةُ لا يزال مشركاً، يعادي دينَ الإسلام، وخشيَ أن يقتله الرسولُ ﷺ، لشدة إيذائه للمسلمين، وكثرةِ ما أوقعه بين صفوفهم، من قتلى وخسائر، ظناً منه أن الرسول ﷺ سَيُهدِرُ دَمَه، ولن يعفوَ عنه بحال من الأحوال، فترك مكة المكرمة، وخرج مهاجراً جهة البحر،

ووصل إلى (جُدَّة) يريد بلاد اليمن، بطريق ركوبه السفينة، وفي البحر التطمتْ الأمواجُ العاتية بالسفينة، حتى كادت أن تُغرِقَها، وصاحَ رُبَّانُ السفينة بالركاب قائلاً: تضرَّعوا إلى اللَّه ربِّكم، وأخلصوا له الدُّعاءَ، فواللَّهِ لا ينجيكم من هذه الشدَّة، إلَّا اللَّهُ ربُّ العالمين، واتركوا دعاءَ الأصنام والأوثان، فلا مُنْقِذ لكم إلَّا ربُّ السماء، دون ما تدعون معه من آلهة وأرباب!!

نَذْرُ عكرمة إن نجَّاه اللَّه أن يُسلم

فقال عكرمة: إن كان لا يُنجي في البحر، إلَّا اللَّهُ ربُّ العالمين، فواللَّهِ لا يُنجي في البَرِّ، إلَّا اللَّهُ خالقُ الأرض والسماء، ثم قال: إنَّ نَذْراً للَّه عليَّ، إنْ أنجاني اللَّهُ من الغَرَق، لأذهبنَّ إلى محمد، فلأضعنَّ يدي في يده، فأبايعه على الإسلام، فلأجدنَّه بَرّاً، كريماً، حليماً.!

وقد أجاب اللَّهُ تضرُّعَ رُكاب السفينة، فأنقذهم من الهلاك والغرق، بعد أن يئسوا من النجاة، فعادت بهم السفينة إلى المكان الذي خرجوا منه عادت بهم إلى جُدَّة، وكان ذلك سبباً في إسلام (عكرمة) رضي اللَّه عنه.

كانت زوجة (عكرمة) قد أسلمتْ قبل زوجها، واسمها (أمُّ حكيم) بنتُ الحارث بنِ هشام، فجاءت إلى رسول اللَّه ﷺ، **وقالت له**: إنَّ زوجي (عكرمة) قد هربَ من مكة، وخاف أن تقتله، فأعطِه الأمانَ يا رسولَ اللَّه، لعلَّه يأتيك راغباً في الإسلام، ويهديه اللَّهُ على يديك، فواللَّه ما أعلمُ عنه، إلَّا أنه ذو عَقْل، وبصيرة!؟

فقال لها ﷺ: هو آمنٌ، فأبلغيه أنني قد أَمَّنْتُه، فلن يرى شرّاً، إذا ما جاءنا تائباً، منيباً إلى اللَّه ورسوله، والإسلامُ يهدم ما قبله!!

زوجة عكرمة تؤمِّنه على نفسه

بلغ الخبرُ (أمَّ حكيم) أنَّ زوجها قد عاد من البحر، فأسرعت نحوه، وجاءت تقول له: يا ابنَ عمّ، جئتُك من عند أبَرِّ النَّاس، وخير الناس، وأوصلِ النَّاسِ (محمد) ﷺ، فأسرعْ نحوه وأسلمْ، ولا تُهلك نفسك، وقد استأمنتُ لك رسولَ اللَّه ﷺ، فواللَّهِ ما رأيتُ مثلَه برّاً رحيماً!!

فقال لها: أنتِ فعلتِ ذلكَ؟ قالت: نعم، أنا كلَّمتُه فآمَنَك، فرجع معها.

فلما دنا من مكة، قال رسولُ اللَّه ﷺ لأصحابه: (يأتيكم الآن (عكرمةُ بنُ أبي جهل) مؤمناً مهاجراً إلى اللَّه ورسوله، فلا تسبُّوا أباه، فإن سبَّ الميِّت يؤذي الحيَّ، ولا ينفعُ الميِّت)!!

وجعل عكرمةُ في طريقه يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه، وتقول له: إنك كافرٌ وأنا مسلمة، فيقول لها: إن الذي مَنَعكِ منِّي، لأمرٌ عظيم خطير!

ـ يريد أن أمرك عجيبٌ وغريب بالإسلام ـ فلمَّا رأى النبيُّ ﷺ (عكرمةَ) وثَبَ إليه، قائماً على رجليه، فرحاً بقدومه.!

يقول عكرمة: فلمَّا انتهيتُ إلى رسول اللَّه ﷺ قلتُ: يا محمد، إن هذه أخبرتني أنك آمنْتَني!! فقال له الرسول الكريم: صدَقتْ، فأنت آمن.!

عكرمة يعلن إسلامه أمام الرسول

قال عكرمة: قلتُ: (أشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأنك عبدُ اللَّهِ ورسولُه) وأنتَ أبرُّ الناس، وأصدقُ الناس، وأوفى الناس.!

قال عكرمة: أقولُ ذلك، وأنا مطأطئٌ رأسي استحياءً منه ﷺ!

قلت: فإلامَ تدعو يا محمد؟ قال: أدعوك إلى شهادة أن لا إلٰه إلَّا اللَّهُ، وأني رسولُ اللَّه، وأن تقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتجاهد في سبيل اللَّه!!

فقال عكرمة: واللَّهِ ما دعوتَ إلَّا إلى الخير، وإلى أمرٍ حسنٍ جميل، قد كنتَ فينا قبل أن تدعوَنا إلى ما دَعَوْتنا إليه، أصدقَنا حديثاً، وأبَرَّنا برّاً، وأوفانا عهداً، وكنَّا نكذِّبك لسَفَهنا وجهلنا، وقد أعطاك اللَّهُ ما أعطاكَ، من العزِّ، والجاه، والنَّصر، فالآن يا رسولَ اللَّه نصدِّقُك بكل ما جئتَ به، فاستغفرْ لي يا رسول اللَّه، كلَّ عداوةٍ عاديتُكها، وكلّ مركب ركبتُه للصدِّ عن دينك!!

دعوة الرسول ﷺ لعكرمة أن يغفر اللَّه له

فقال رسول اللَّه ﷺ: اللهمَّ اغفر لعكرمة كلَّ عداوةٍ عادانيها، أو مركب أسرعَ فيه للصدِّ عن سبيلك، وإطفاءِ نورك، واغفر له ما نالَ مني، ومن عبادك المؤمنين.!

فقال عكرمة: أمَا واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، لا أدَعُ نفقةً كنتُ أنفقتُها في الصدِّ عن سبيل اللَّه، إلَّا أنفقتُ ضعفَها في سبيل اللَّه، ولا قاتلتُ قتالاً لإطفاء نور اللَّه، إلَّا قاتلتُ ضعفَه نصرةً لدين اللَّه[1].

رضي اللَّه عن (عكرمة بن أبي جهل) فقد أسلَمَ وحسُنَ إسلامُه، وجاهد في

(١) رواه الحاكم ٣/ ٢٤١ وكنز العمال ٧/ ٧٥ وقد جمعنا بين الروايتين بشيء يسير من التصرف.

سبيل اللَّه، وأخلصَ الدِّينَ للَّهِ، فنالَ الشهادةَ في سبيل اللَّه (يومَ أَجْنادين) في خلافة (أبي بكر الصدِّيق) رضي اللَّه عنه.

وبعد أن كان ألدّ أعداء الإسلام، أصبح أقوى الأنصار، لهذا الدين الكريم، فقد نقلَه اللَّهُ من الشقاوةِ إلى السعادة، ومن الكفر إلى الإيمان، وقد كان رسولُ اللَّه ﷺ فَرِحاً بإسلامه، يومَ أسلم، وكان يكرمه ويحبُّه، ويأمرُ أصحابَه بإظهار السرور والبشاشة في وجهه، وينهاهم عن سبِّ أبيه، الذي كان (فرعونَ) هذه الأمة، وأفجرَهم وأطغاهم على الإسلام وأتباعه، وسبحان مقلِّب القلوب، الذي يخرج الحيَّ من الميِّت، والمؤمنَ من الكافر، والبَرَّ من الفاجر، فهذا هو النموذج لمن أراد اللَّهُ له الكرامة، في سيرة (عكرمة) المؤمن المجاهد، مع أبيه (أبي جهل) الكافر الفاجر.!، وصدق اللَّه العظيم ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

رضي اللَّه عن عكرمة، وأسكنه فسيح جناته، فقد جاهد في سبيل اللَّه نصرةً لدينه، وحارب الكفرةَ أعداء الإسلام، بعد أن حمل لواء الكفر رَدْحاً طويلاً من الزمان، فكانت نهايته مشرقةً سعيدة، والأمور بخواتيمها، فنال العزَّةَ والرفعة، واللَّهُ يهدي من يشاء إلى دينه القويم، وصراطه المستقيم.

* * *

مقارنة بين الابن المؤمن والأب الكافر
قصةُ مقتلِ أبي جهل فرعونُ الأمة

٥٥

أمَّا ذلك الطاغيةُ الفَاجرُ (أبو جهل) الذي كان يسميه الرسولُ ﷺ (فرعونَ هذه الأمة) فقد مات مشركاً، وكان حتى آخر رمقٍ من حياته، عدواً للَّهِ ورسوله، فكان يومُ موته نعمةً من اللَّه على المسلمين، وَراحةً للبلاد والعباد من شرِّه وفجوره.! خِلافاً لولده المؤمن (عكرمة بن أبي جهل) الذي حمل راية الإيمان والتوحيد.

أمَّا كيف قُتل هذا الشقيُّ؟ ومن الذي قتله من الرجال الأبطال، فإنه خبرٌ غريبٌ وعجيب!؟

هذا الطاغية الجبّار، المتفاخرُ على النَّاس بشجاعته وبطولته، قال ذاتَ مرَّة لرسول اللَّه ﷺ: (أتتوعَّدُني يا محمد! أتهدِّدني بعذاب اللَّه؟ واللَّهِ لا تستطيعُ لا أنتَ ولا ربُّك عليَّ! ولا تستطيع أن تفعلَ بي شيئاً! واللَّهِ إني لأعزُّ أهلِ هذا الوادي)!! فأهلكه اللَّه وقَتَله شرَّ قتلة، وجعله عبرةً للمعتبرين.!

من قتل الطاغية أبا جهل؟

هذا الكافر الفاجر، أتدرون كيف قُتل؟ ومن قتله؟ إنهما شابان في رَيْعان الشباب، لم يَبْلُغ كلُّ واحدٍ منهما مبلغ الرجال، بل كانا في سنِّ المراهقة، إنهما (ابنا عَفْراء) ولنفسح المجال لشيخ المحدِّثين الإمام (البخاري) رحمه اللَّه تعالى، حيث ذكر قصة مصرعِ (أبي جهل) في صحيحه فقال:

(قال عبدُ الرحمن بن عوف: إني لفي الصفِّ يوم بدر، إذِ التفتُّ فإذا عن يميني وعن شمالي فتيان، حديثا السنِّ ـ أي صغيران لم يبلغا الحُلُم ـ فكأني لم آمَنْ بمكانهما ـ أي خشيةً عليهما ـ إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عمِّ، أرني أبا جهل؟ أين هو؟ فقلت: يا ابنَ أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبرتُ أنه يسبُّ رسولَ اللَّه ﷺ، فوالذي نفسي بيده ـ أي أحلف باللَّه العظيم ـ لئن رأيتُه، لا يُفارق سوادي سوادَه، حتى يموت الأَعْجلُ منَّا، قال: فتعجَّبتُ لذلك غاية التعجب.!

قال: وغمزني الآخر، فقال: يا عمُّ، أرني أبا جهل، فقال لي، مثلَ ما قال الآخرُ، فلم أَنْشَبْ - أي لم أمكث طويلاً - حتى نظرتُ إلى (أبي جهل) يجول في الناس - أي يمتطي فَرسَه - يسير بين الناس.!

فقلت لهما: ألَا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألاني عنه!

قال: فانقضَّا عليه مثل الصَّقْرين، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى أثخناه بالجراح، وسَقَط على الأرض قتيلاً، لا يستطيع الحَرَاك، وهما (ابنا عَفْراءَ)[1].

ثم انصرفا إلى رسول اللَّه ﷺ، فأخبراه بمقتله، فقال: أيُّكما قتَله؟

فقال كلُّ واحد منهما: أنا قتلتُه!

فقال ﷺ: هل مَسَحتُما سيفيكما؟ فقالا: لا، فنظر رسولُ اللَّه ﷺ إلى السَّيْفين، فقال: كلاكما قَتَله! وقضى ﷺ بسَلَبه - أي ما يحمله من السلاح والعتاد (لمعاذ بن الجموح)[2].

والرجلان اللَّذان قَتَلاه (معاذ بن عمرو بن الجموح) و(معوِّذ بن عفراء) وإنما خصَّ الرسول ﷺ بالسَّلب (معاذَ بنَ الجموح) لأن الثاني قُتل شهيداً في المعركة نفسها.

وفي رواية في الصحيح: أن عبدَ اللَّه بنَ مسعود رضي اللَّه عنه أتى (أبا جَهْل) وبه رَمَقٌ يوم بدر - أي لم يفارق الحياة - فوجده قد ضَرَبه (ابنا عَفْراء) حتى بَرَدَ - أي عادَ لا يستطيع الحركة - فجلس على صدره وأخذ بلحيته، فقال له: أأنتَ أبو جهل؟

- أي أأنتَ الزعيمُ العظيم الذي لا يُغلب -؟ فقال أبو جهل: وهل أعمدُ من رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه)[3]؟ - يريد أنه ليس بعارٍ ولا عجيبٍ، على رجل قتله قومه -.

وجاء في بعض الأخبار: أن ابنَ مسعود لمَّا رَقَى على صدر (أبي جهلٍ) وهو مثخنٌ بالجراح، لا يستطيع الحركة، قال له أبو جهل: لقد رقيتَ مرقًى لا تستطيعه يا رُوَيْعيَ الغَنَم، لولا ما بي من الجراح!؟

فأخذ ابنُ مسعود بلحيته فشدَّها إليه، ثم احتزَّ عنقه، ثم جاء برأس

(١) رواه البخاري في المغازي ٣/ ٨.
(٢) انظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن ص٢٥٩.
(٣) صحيح البخاري ٣/ ٤ كتاب المغازي.

(أبي جهل) إلى رسول اللّه ﷺ، فحمد رسولُ اللّه ﷺ ربَّه على هلاك عدوِّ اللّه (أبي جهل).

هكذا كانت نهاية هذا الطاغية الجبار، هي القتلُ على يد شابَّيْن صغيريْن، لا يتجاوز كلُّ واحدٍ منهما الخامسةَ عشرة من العمر، وكفى اللّهُ المؤمنين شرَّ هذا الكافر الفاجر.!

* * *

رؤيا منامية عجيبة
قصة إسلام عَمرو بن مُرّة الجُهَني
رضي الله عنه

٥٦

أخرج ابن عساكر عن (عَمْرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنيِّ) أنه قال:

(خرجنا حجاجاً في الجاهلية، نُريد بيتَ اللَّهِ الحرام، وكان معي جماعةٌ من قومي، فرأيتُ في المنام ـ وأنا بمكة ـ نوراً ساطعاً من الكعبة، حتى أضاء لي جَبَل (يثرب) ـ المدينة المنوَّرة ـ وجَبَل قبيلتي (جُهَيْنَةَ) وسمعتُ صوتاً منبعثاً من ذلك النور، وهو يقول: انقشعت الظلماءُ، وسَطَع الضياءُ، وبُعِثَ خاتمُ الأنبياء.!

ثم لَمَع النورُ، وأضاء لي إضاءةً أخرى، حتى نظرتُ إلى قصور الحِيرة، وقصور المدائن ـ عاصمة الفرس التي بها الأكاسرة ـ وسمعتُ صوتاً في النور منبعثاً منه، وهو يقول: ظهرَ الإسلامُ، وكُسرت الأصنام، ووُصِلت الأرحام!!

قال عَمْرٌو: فانتبهتُ فَزِعاً، فقلت لقومي: واللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ في هذا الحيِّ بمكة حَدَثٌ في قريش، فأخبرتُهُم بما رأيتُ، فتعجبوا من هذه الرؤيا، وقالوا: واللَّهِ ما ندري ما يحدثُ؟ ـ أي لم يستطع أحد أن يُفسِّر له تلك الرؤيا ـ.

بعثة خاتم الأنبياء وظهورُه بمكة

قال عَمْرو: فلمَّا رجعتُ إلى بلادي، جاءني الخبرُ، أن رجلاً يُقال له (محمد) ﷺ قد بُعث نبياً إلى قريش، فخرجتُ حتى أتيتُ مكة، ورأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ، فأخبرتُه بتلك الرؤيا!!

فقال لي ﷺ: يا (عَمْروَ بنَ مُرَّةَ) أنا النبيُّ المرسلُ من عند اللَّه، إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقنِ الدماء، وصلةِ الأرحام، ورفضِ الأصنام، وعبادة اللَّهِ الواحد الأحد، وآمرُهم بحجِّ بيتِ اللَّه الحرام، وصيامِ شهر رمضان، فمن أجابَ فله الجنَّةُ، ومن عَصَى فله النَّارُ!!

فآمِنْ يا عَمْرو، يؤمِّنكَ اللَّهُ، ويحفظُك من حرِّ جهنم وهَوْلها!

فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، أشهد أن لا إله إلا اللَّهُ، وأنك رسولُ اللَّه، آمنتُ بكل ما جئتَ به، من حلال وحرام، وإن رَغِم أنفُ كثير من الأقوام ـ أي رَغْمَ أنوفهم ـ ثم أنشدتُه أبياتاً، كنتُ قلتُها حين سمعتُ ببعثته ﷺ.

يقول: وكان لنا صَنَمٌ نعبدُه، وكان أبي سادنه، فقمتُ إليه فكسرتُه، ثم لحقتُ بالنبيِّ ﷺ ـ وأنا أقول:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَإِنَّنِي ... لِآلِهَةِ الأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الإِزَارَ مُهَاجِراً ... أَجُوبُ إِلَيْكَ القَفْرَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ[1]

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً ... رَسُولَ مَلِيكِ الخَلْقِ فَوْقَ الحَبَائِكِ

قال عَمْرو: فلمَّا قدمتُ على رسول اللَّه ﷺ، وأنشدته الأبياتَ، قال لي: مرحباً بك يا عَمْرو، لقد هداكَ اللَّهُ إلى الدِّينِ الحقِّ.!

فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، بأبي أنت وأمّي ـ أي أفديكَ بهما ـ ابعثني إلى قومي، لأبلِّغهم الإسلام، وأدعوهم إلى اللَّهِ، لعلَّ اللَّهَ أن يمنَّ عليهم بي ـ أي يُسلموا بواسطتي ـ كما منَّ بكَ عليَّ، وأسلمتُ!!

قال: فبعثني وأرسلني إلى قومي، وقال لي: عليك بالرِّفقِ، والقولِ السديد، ولا تكن فظّاً، ولا حَسُوداً، ولا متكبِّراً!

رجوع عمرو إلى جُهينة ودعوتهم إلى الإسلام

قال عَمْرو: فأتيتُ قومي فقلت: يا بني رفاعة، ويا معشَر جُهينة، إني رسولُ رسولِ اللَّه إليكم ـ أي مرسلٌ إليكم من عند الرسول ﷺ ـ أدعوكم إلى الإسلام، وتركِ عبادة الأصنام، وآمركم بصلة الأرحام، وحجّ بيت اللَّه الحرام، وحَقْن الدماء، وصيام شهر رمضان، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار!

يا بني رفاعة، ويا معشر جُهينة: إن اللَّه جعلكم خيارَ قومكم، وبغَّض إليكم في جاهليتكم، ما حُبِّبَ إلى غيركم من العرب، فقد كانوا يجمعون في الزواج بين الأختين، ويغزون غيرهم في الشهر الحرام، ويتزوَّجُ الرجل بامرأة أبيه، وأنتم لا تفعلون ذلك، فأجيبوا هذا النبيَّ المرسل من عند اللَّه، تنالوا شرف الدنيا، وكرامة الآخرة!!

---

(١) الدكادك: الأراضي الغليظة الوعرة جمعُ دَكْدك، والحبائكُ: أطراف السموات، يريد أنه ترك الوطن، ومشى فوق الأراضي العسرة الغليظة، ليصحب رسولَ اللَّه ﷺ ويؤمن به.

قال: فما أجابني رداً على كلامي، إلا رجل واحدٌ منهم، قام فقال:

يا عَمْروَ بنَ مُرَّة، جعل اللَّه عيشَك مُرّاً، أتأمرنا برفض آلهتنا، وأن نخالف دينَ آبائنا، أهلِ الشّيم والمعالي، والعقلِ والفهم، إلى ما يدعونا إليه هذا (القرشيُّ الصابئُ) من أهلِ تهامة ـ أي أهلِ الحجاز ـ لا حُبّاً لكَ ولا كرامة، ثم أنشد الخبيث يقول:

إنَّ ابْـنَ مُـرَّةَ قَـدْ أَتَـى بِـمَـقَـالَـةٍ ... لَـيْـسَـتْ مَـقَـالَـةَ مَـنْ يُـرِيـدُ صَـلَاحَـا

إنِّـي لَأَعْـرِفُ قَـوْلَـهُ وَفِـعَـالَـهُ ... يَـوْمـاً ـ وَإِنْ طَـالَ الـزَّمَـانُ ـ نُـبَـاحَـا

لِـيُـسَـفِّـهَ الْأَشْـيَـاخَ مِـمَّـنْ قَـدْ مَـضَـوْا ... مَـنْ رَامَ ذَلِـكَ مَـا أَصَـابَ فَـلَاحَـا

فأجابه عَمْرو رضي اللَّهُ عنه فقال: من كان كاذباً منّا، فأبكَمَ اللَّهُ لسانَه، ـ أي أخرسه ـ وأكْمَهَ جَنانَه ـ أي أعمى بصيرته وبَصَره ـ وجعل اللَّهُ عيشَهُ مُرّاً!!

يقول: فواللَّهِ ما مات حتى سقطت أسنانُه، وعميَ، وأصابه الخَرَفُ، وكان لا يستسيغ طَعْم الطعام، وذلك بدعاء عَمْروٍ عليه!!

إسلامُ قبيلةِ جُهينة وقدومُهم على الرسول ﷺ

ثم خرج الصحابيُّ (عَمْرو بنُ مُرَّة) بمن أسلم من عشيرته وقومه، حتى وصلوا إلى رسول اللَّه ﷺ فأعلنوا إسلامهم، فحيَّاهم ورحَّبَ بهم، وكتب لهم كتاباً، جاء فيه (بسم اللَّهِ الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من اللَّه العزيز الحميد، على لسانِ رسوله الكريم، بحقٍّ صادق، ولسانٍ ناطق، مع (عَمْروِ بنِ مُرَّة) لجماعة جُهينَةَ بني زيد: إنَّ لكم بطونَ الأرض وسهولَها، وتِلاعَ ـ أي مسايل الماء ـ الأودية وظهورها ـ أي لكم ما في باطن الأرض، وما على ظهرها، من الزروع والثمار والخيرات ـ على أن تَرْعَوْا نباتها، وتشربوا ماءها، وعلى أن تؤدُّوا الخُمسَ، وتصلُّوا الصلواتِ الخمسَ . . .)[1].

هكذا أسلم (عَمْرو) وأسلم معه قومُه، فكانوا مسارعين إلى الإسلام، وهم قبيلةُ جُهينة، الذين اشتهروا بالصدق والوفاء، رضي اللَّه عنهم أجمعين.

رضي اللَّه عن (عَمْروِ بن مُرَّة)، وأسكنه اللَّه فسيح جناته، بما أسدى لقومه من خير ومعروف، حيث كان سبباً لإسلامهم، فنقلهم من ظلمة الكفر والضلال، إلى نور الإيمان والهداية!!

* * *

(١) أخرجه في كنز العمال ٧/ ٦٤ ورواه ابن عساكر، وانظر كتاب حياة الصحابة ١/ ١٦٤.

إسلامُ قبيلةِ دَوْس بدعوة مباركة
قصة إسلام الطُفيل بن عَمرو الدَوسي
رضي الله عنه

٥٧

كان رسولُ اللّه ﷺ **وهو في مكة**، لا يترك الدعوة إلى اللّه، صباحَ مساء، يخرج إلى الناس في أسواقهم، ويقول لهم: يا أيها الناس قولوا (لا إله إلّا اللّه تُفلِحُوا)، اتركوا عبادة الأصنام والأوثان، واعبدوا اللّهَ الذي خلقكم، وإليه تُرجعون، وكان يبذل لقومه النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة من عذاب اللّه.!

وكان المشركون يعجبون من دعوة رسول اللّه ﷺ، ويقولون ما حدَّثنا عنه القرآن الكريم ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؟ ولما بدأ أمرُ رسول اللّه ﷺ يعلو ويظهر، ويدخل بعضُ الناس في الإسلام، جعلت قريش يحذِّرون الناسَ منه، ويقولون لمن قدِمَ عليهم من العرب: احذروا هذا الرجلَ، فإنه ساحرٌ كذّاب، يُفرِّق بين الأبِ وابنه، وبين الأخ وأخيه، ويسلبُ عقولَ الناس بحَلاوة، لسانه، وقوَّة بيانه!!

وكان (الطُفيل بن عمرو الدَوسي) **قد قدم مكة، وكان رجلاً شريفاً، وشاعراً لبيباً، فمشى إليه رجال من قريش، وقالوا له: يا طُفيل، إنك قدمتَ بلادنا، وهذا الرجلُ ـ يعنون محمداً ـ بين أظهرنا، شتَّتَ شملنا، وفرَّق جماعتَنا، وخالفَ ديننا، وإنما قولُه كالسحر، يُفرِّق به بين الرجل وأبيه، وبين الأخ وأخيه، وبين الزوج وزوجته، وإنَّا نخشى عليك وعلى قومك، ما فعلَ فيه بيننا، فلا تكلِّمْه ولا تسمَعْ منه، ولا تقرب مجلسه، فإنَّا نخاف عليك منه.!**

قال الطُفيل: فواللّهِ ما زالوا بي، يحذِّرونني منه، حتى أجمعتُ على أن لا أسمعَ منه شيئاً، ولا أُكلِّمه أيَّ كلمة، حتى حشوتُ أُذُنيَّ بالقُطن، حين أردتُ دخولَ المسجد الحرام، خشيةَ أن ينالني أذى منه، وأن يصلَ إليَّ شيء من كلامه، وأنا أريد ألّا أسمعه، لكثرةِ ما خوَّفوني وحذَّروني منه.!

كيف اهتدى الطُّفَيل إلى الإسلام؟

قال: فغدوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ اللَّه ﷺ قائم يصلِّي عند الكعبة، فقمتُ قريباً منه، فأبى اللَّهُ إلَّا أن يُسْمِعَني بعضَ كلامه، فسمعت كلاماً حسناً، دخل إلى قلبي، فقلتُ في نفسي: وا ثُكْلَ أمِّي ـ أي تفقدني أمِّي ـ إني لرجلٌ شاعرٌ لبيبٌ، ما يخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما الذي يمنعني، أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يقوله حسناً قبلتهُ، وإن كان قبيحاً هجرتُه وتركته!؟

قال الطفيل: فمكثتُ في المسجد الحرام، حتى انصرفَ رسولُ اللَّه ﷺ إلى بيته، فتبعتُه حتى إذا أراد دخول بيته، استأذنتُه أن أدخل معه فأذن لي.!

فقلت: يا محمد، إن قومك حذَّروني منك، وقالوا لي كذا وكذا ـ وأخبره بما قالوه عنه ـ فواللَّهِ ما برحوا يخوِّفونني أمركَ، حتى سددتُ أُذنيَّ بالقطن، لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى اللَّهُ إلَّا أن يُسْمِعَني كلامك، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعرِضْ عليَّ أمركَ أنظرْ فيه!!

عرضُ الرسولِ الإسلامَ على الطُّفيل

قال: فعَرَضَ عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فواللَّه ما سمعت قولاً قطُّ أحسَنَ منه، ولا رأيتُ أمراً أعدلَ منه، فأسلمتُ في مكاني، وشهدتُ شهادة الحقِّ (أشهد أن لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ، وأن محمداً رسولُ اللَّه) وقلتُ: يا نبيَّ اللَّه، إني امرؤ شريف مُطاع في قومي، وأنا راجع إليهم أدعوهم إلى الإسلام، فادعُ اللَّهَ لي أن يجعل لي آيةً ـ أي علامة واضحة ـ تكونُ لي عوناً عليهم، ليعلموا صدق ما أدعوهم إليه؟ فقال ﷺ: اللهم اجعل له آيةً!!

قال: فخرجتُ حتى إذا وصلتُ إلى ثنيَّةٍ ـ وهي فرجةٌ بين جبلين ـ وقع نور بين عينيَّ، حتى صار مثلَ المصباح يضيء، فقلتُ: اللهمَّ اجعل هذا النور في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنَّ قومي أنها (مُثْلَةٌ) ـ أي عقوبة ـ وقعتْ في وجهي، لفراقي لدينهم!

يقول: فتحوَّل النُّورُ من وجهي، فصار في رأس سوطي ـ العصا التي كانت معه ـ فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلَّق، وأنا نازلٌ نحوهم من جهة الجبل، حتى وصلتُ إليهم، فأصبحت بينهم!

دعوة طُفيل لأبيه وزوجته إلى الإسلام

قال الطفيل: فلما نزلتُ بينهم أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ضعيف البصر ـ فقلتُ له: إليكَ عنِّي ـ أي ابتعدْ عني ـ يا أبت، فلستَ منِّي، ولستُ منك!! فقال لي: ولِمَ يا بُنيَّ؟ لماذا تتبرَّأ مني؟

فقلتُ له: إني قد أسلمتُ، واتَّبعتُ دين محمد ﷺ.

فقال لي أبي: دينُك ديني، وإلٰهُكَ إلٰهي، فأخبرني عن دينك؟

فقلت له: قمْ فاغتسل، وطهِّر ثيابك!!

فقام واغتسل، ثم جاء إليَّ فعرضتُ عليه الإسلام، وعرَّفته بالدين فأسلم، ونطقَ بكلمة التوحيد، فقلت له: الآنَ أنت أبي.!

قال: ثم أتتْ إليَّ زوجتي، فقلتُ لها: إليكِ عني، فلستُ منكِ ولستِ منِّي!! قالت: ولِمَ بأبي أنتَ وأمِّي؟

قلتُ: لقد فرَّق الإسلامُ بيني وبينك، فأنا مسلمٌ وأنت مشركة، ولا يجوز لمسلم، أن تبقى في حجْره مشركةٌ، قالت: أريد أن أكون على دينك مسلمة، فعلِّمني ما هو الإسلام؟ قال لها: (أن تشهدي أن لا إلٰه إلا اللَّهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللَّه) فأسلمتْ، فقلت لها: الآن أنتِ زوجتي!

دعاؤه ﷺ لقبيلة دَوْس ودخولُهم في الإسلام

يقول الطُّفيل: ودعوتُ قومي (دَوْساً) إلى الإسلام، فأبطأوا عليَّ، ولم يستجيبوا لدعوتي، فخرجتُ من عندهم، وقدمتُ على رسول اللَّه ﷺ بمكة، فقلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، إني دعوتُ قومي إلى الإسلام، فأبوا عليَّ، فادعُ اللَّهَ عليهم أن يهلكهم!

فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: إن اللَّهَ بعثني رحمةً، ولم يبعثني عذاباً!!

اللهمَّ اهْدِ دوساً للإسلام ـ ودوسٌ هم قبيلةُ أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه ـ فقال لي رسول اللَّه ﷺ: ارجعْ إلى قومك، فادعُهم إلى الإسلام، وكنْ بهم رفيقاً!

قال: فرجعتُ إلى قومي فدعوتهم إلى الإسلام، فلم أزل أدعوهم حتى أسلموا، فقدمتُ بهم على رسول اللَّه ﷺ، بعد أن هاجر إلى المدينة المنورة، وكان ﷺ قد حضر (غزوة بدر) و(الخندق) فقدمتُ عليه بثمانين بيتاً من دَوْس أسلموا معي.

لقد كان (أبو هريرة) من السابقين إلى مكة للإسلام، أسلمَ على يد (الطُّفيل) ولم تمضِ مدة، حتى أسلمتْ قبيلةُ دوس، وجاءوا إلى المدينة مسلمين، بدعوة سيد المرسلين ﷺ! ولقد أكرم اللَّه الأمّة الإسلامية، بإسلام (أبي هريرة) رضي اللَّه عنه، الذي حَفِظَ لنا هدْيَ سيد المرسلين ﷺ، بنقله لنا أحاديثه النبوية الشريفة، وكان أبو هريرة من قبيلة دَوْس التي سارعت إلى الإسلام، بدعوةٍ مباركة من النبي الكريم ﷺ.

إسلام جُندب الدوسي مع قومه

وممّا يحسن ذكره في هذه القبيلة، أن رجلاً منهم يُدعى (جُنْدبُ بنُ عَمْروٍ الدَّوْسي) كان يقول وهو في الجاهلية: إنَّ للخلقِ خالقاً، لكنني لا أدري من هو؟ فلمَّا سمعَ بخبر مبعثِ النبيِّ ﷺ، خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلموا جميعاً، بدعاء رسول اللَّه لهم بالهداية والصلاح.

قال أبو هريرة: فكان (جُندب) يقدِّمهم لرسولِ اللَّه ﷺ رجلاً، رجلاً، يُشهرونَ إسلامَهم بين يديْه، عليه أفضلُ الصلاة والتسليم.

وهكذا دعا رسولُ اللَّه ﷺ لكثير من الأقوام، فهداهم اللَّه للإسلام، ببركة دعائه ﷺ لهم.

وقد تقدمت معنا قصة إسلام (أبي هريرة وأمّه) رضي اللَّه عنهما، وهي قصة غريبة وعجيبة في بابها، ففيها ما يُثير الدهشة إلى (سرعة استجابة دعاء) النبي ﷺ أن يهدي قلبها للإسلام، وأن يحبّب اللَّهُ أبا هريرة وأمه إلى المسلمين، ويُحبّب المسلمين إليهم، ممَّا فيه معجزةٌ ظاهرة لسيد المرسلين ﷺ.

* * *

قصة إسلام حُوَيطب بن عبد العُزّى رضي الله عنه

(٥٨)

أخرج الحاكم عن حُوَيطب بن عبد العُزّى أنه قال:

(لمَّا دخل رسولُ اللَّه ﷺ مكة عامَ الفتح، دخلها فاتحاً منتصراً، خفتُ خوفاً شديداً، أن يقتلني رسولُ اللَّه ﷺ، أو يأمرَ أصحابَه بقتلي، لأني كنتُ عدواً للإسلام والمسلمين، فخرجتُ من بيتي، وفرَّقتُ عيالي عند أقاربَ لي، في بيوتٍ يأمنون فيها على أنفسهم.!

وذهبتُ حتى انتهيتُ إلى حائط ـ أي بستان ـ صديقٍ لي اسمُه (عوف) فاختبأتُ فيه، ومكثتُ فيه أياماً!

فإذا بي أرى (أبا ذرٍّ الغفاري) وكانت بيني وبينه صداقة، فلمَّا رأيتُه هربتُ منه، لأنني أعلمُ بإسلامه، فخشيتُ أن يُخبرَ عني!

فناداني يا أبا محمد! فقلتُ: لبَّيْك أبا ذرٍّ!

قال: ما لك؟ قلتُ: الخوفُ، قال: لا خوفَ عليك، فأنت آمنٌ بأمانِ اللَّه عزَّ وجلَّ، وأنا ذاهبٌ إلى رسولِ اللَّه ﷺ، آخذ لك منه الأمان.!

فأقبلتُ نحوه فسلَّمتُ عليه، فقال: اذهبْ إلى منزلك، فاجلسْ فيه، حتى أرجعَ إليك!!

فقلت له: ليس لي سبيلٌ إلى منزلي، ووالله ما أُراني أصلُ إلى بيتي حياً، حتى يلقاني أحدٌ فيقتلني، أو يدخلَ عليَّ منزلي أحد فيقتلني، وإن عيالي لفي أماكنَ شتَّى، لا أستطيعُ أن ألتقي بهم.!

فقال لي: اذهبْ فاجمعْ عيالَكَ في موضع، وأنا أذهبُ معك حتى أصلَ بك إلى منزلك، فبلغ معي وجعل ينادي: إن (حُوَيطباً) آمنٌ، فلا يؤذه أحد.

ثم انصرف (أبو ذرٍّ) إلى رسول الله ﷺ **فأخبره بأمري**، وأنه أدخلني في أمانه، فقال له ﷺ: أوَ ليس قد أمِنَ الناسُ كلُّهم، إلَّا من أمرتُ بقتله؟

قال حُويطب: فاطمأننتُ ورددتُ عيالي إلى منازلهم.

وعاد إليّ (أبو ذرّ) فقال لي: يا أبا محمد، حتى متى؟ وإلى متى تبقى على ضلالك؟ قد سُبِقْتَ في المواطن كلِّها، وفاتكَ خيرٌ كثير، وبقيَ أمامك خيرٌ كثير، فأتِ رسولَ اللَّه ﷺ، فأسلمْ تَسْلَمْ، ورسولُ اللَّهِ أبرُّ الناس، وأوصلُ الناس، وأحلمُ الناس، شرفُه شرفُك، وعزُّه عزُّك!!

قال: فقلتُ لأبي ذرّ: أنا أخرجُ معك إلى محمد ﷺ فآتيه، فأُسْلِمُ بين يديه.!

فخرجتُ معه حتى أتيت رسولَ اللَّه ﷺ، وعنده أبو بكر وعمر، فقلت لأبي ذرّ: كيف أقولُ إذا سلَّمتُ عليه؟ قال: قل السلام عليك أيها النبيُّ ورحمةُ اللَّه وبركاته!!

فلما وقفتُ على رأسه قلت: السلام عليك ورحمةُ اللَّه وبركاتُه، فقال: وعليك السلامُ حُويطب!!

فقلت: أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأنك رسولُ اللَّه! فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: الحمدُ للَّهِ الذي هداك للدِّينِ الحقّ، وسُرَّ رسولُ اللَّه ﷺ بإسلامي، وشهدتُ معه حُنيناً، والطائفَ، وأعطاني من غنائم حُنين مائة بعير.

موقف مؤثر يثير الحزن

وكان (حُويطب) يقول: لمَّا قدم رسولُ اللَّه لعمرةِ القضاء، ومضت الأيامُ الثلاثة التي أعطَتْها قريش له، أقبلتُ أنا و(سُهيلُ بنُ عَمْرو)، فقلنا: قد مضى شرطُك، فاخرجْ من بلدنا، فصاح يا بلال لا تَغِب الشمسُ، وواحدٌ من المسلمين ممن قدم معنا بمكة)[1].

هذا هو (حُوَيطب) الذي عادى الرسولَ والإسلامَ سنينَ عديدة، والذي بلَّغَ الرسولَ عليه السلام، واجبَ الخروج من مكة في عمرة القضاء، يقف بين يدي الرسول ﷺ تائباً، نادماً، راجياً صفح الرسول وعفوه، بعد أن أكرمه اللَّه بالإسلام، فيرى كلَّ بِرٍّ وعطف وإحسان، ممن بعثه اللَّهُ رحمة للعالمين، فيصبح داعيةً للإسلام، بعد أن كان عدواً لدوداً لهذا الدين، وحاملاً لواء الكفر والضلال، فهنيئاً له بهذه الكرامة من اللَّه تعالى باعتناقه دينَ الإسلام.

رضي اللَّه عن (حُوَيطب) وغفر اللَّه له عداوته للمسلمين فقد حَسُن إسلامُه ورجع إلى النور القرآني، الذي أخرج الناسَ من الظلمات إلى النور، وأسكنه اللَّه فسيح جناته، إنه بَرٌّ رحيم، جواد كريم.

* * *

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٩٣ وابن سعد في الطبقات.